العدد السادس والعشرون
2009

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا
1377 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2009 مسيحي

- ملامح عن المذهب المالكي في الغرب الإسلامي
- الخطاب الإسلامي مميزاته والتحديات التي تواجهه
- الشيخ محمد عبده وصلاته بأعلام الإصلاح في المغرب الكبير
- اللغة وصناعة الهوية

الإسلام في مواجهة الوثنيّة بإفريقيا
(غِيْنيَا نمُوذَجًا)

أ. د. كبا عمران

أولاً ـ التعريف بغينيا وبالوثنية:

غينيا إحدى دول غربي إفريقيا، تطل على المحيط الأطلنطي غرباً، وتمتد حدودها مع جمهوريتي ساحل العاج ومالي شرقاً، وتتقاسم الغابات الكثيفة مع جمهوريتي ليبيريا وسيراليون جنوباً، وتتّصل بجمهوريتي السنغال وغينيا بيساو شمالاً وشمال غربي.

وهي رابعة أربع دول في العالم تحمل هذا الاسم، ثلاث منها في إفريقيا (غينيا كوناكري، وغينيا بيساو، وغينيا الاستوائية) وواحدة في آسيا هي (غينيا الجديدة).

تنقسم غينيا إلى أربعة أقاليم جغرافية:

1 ـ الإقليم الساحلي، تقطنه قبائل صوصو، وباغا، ونالو، ولاندوما، وميغيفوري.

2 ـ الإقليم الأوسط، أي منطقة فوتاجالون حيث تتمركز الجماعات الفولانية وجاكانكي.

3 ـ الإقليم الشرقي، أي غينيا العليا، حيث تسكن جماعات مانيكا أرباب لغة «أنكو».

4 ـ الإقليم الجنوبي، أو غينيا الغابية حيث تعيش قبائل غيرزي، وكونو، ومانو، وليلي، وكيسي، طوما. ويهمنا هذا الإقليم في هذه الورقة لأن الوثنية ما زالت هي دين تلك القبائل المذكورة هنا.

الوثنية:

تصاغ الوثنية من الوَثَن ـ بالتحريك ـ أي الصنم، ووَثَن كضرب بمعنى ثبت على عهده. ويجمع على الأوثان والوُثُن والأُثُن بالضم. ولكن اشتقاق «الوثنية» ما ورد في اللغة القديمة، لذا لم يرد في أمهات المعاجم كالعين ولسان العرب والقاموس المحيط... الخ. وترادفها «الفتشية Fétichisme» التي أطلقها البرتغاليون الرحالة لما وقفوا على «عبادة الأنصاب» عند نزولهم بسواحل الغرب الإفريقي. وفي القرآن الكريم: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[1].

يمكن تعريفها اصطلاحاً بأنها اتخاذ بعض الكائنات المخلوقة من غير الله معبوداً، فيقيمون الأنصاب والتماثيل من الحجارة أو من الخشب أو من الطين أو الشجر وغير ذلك. يلجؤون إليها في وقت العسرة للاستشارة أو الاستخارة أو الاستعاذة بعد تقديم القرابين اللازمة متفائلين نيل كل خير من رعاية ووقاية، وكلما تتحقق قضاء حوائجهم تجدهم يبالغون في تقديسها وعبادتها[2].

ويفرق ابن الأثير في مؤلفه «النهاية» بين الوثن والصنم بقوله: «إن الوثن كل ما له جثة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي

(1) الآية: 30 من سورة الحج.

(2) راجع: فوزي محمد حميد: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط 2، ص 140.

تعمل وتنصب فتعبد، والصنم الصورة بلا جثة... ومنه حديث ابن حاتم: قدمت النبي (ص) وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي ألق هذا الوثن عنك»[1].

ثانياً ـ الوثنية في غينيا قبل الإسلام:

ومما لا مراء فيه من الناحية التاريخية، أن القبائل الإفريقية لم تعرف ديناً سماوياً قبل الإسلام، لذا كانت الوثنية بصورها ومعتقداتها المتباينة منتشرة بين أوساط الجماعات التقليدية بالمنطقة، تخضع لها رقاب الناس على مستوى الأفراد والقبائل.

والقبائل في غينيا لم تشذّ عن هذه الحقيقة التاريخية التي تسجل للإسلام أسبقيته على الأديان السماوية، والذي سطع نوره على الشعب الإفريقي في وقت كانت الوثنية قد عمت جميع مناطق غينيا.

ويخبرنا التاريخ المحلي ـ الشفوي منه والمكتوب ـ أن أول إمبراطورية غينية بسطت سيطرتها على أراض مترامية الأطراف هي إمبراطورية صوصو، التي قامت على أنقاض إمبراطورية غانة. وكان آخر ملوكها في القرن الثالث عشر الميلادي ـ وهو سوماغورو كانتي ـ ساحراً وثنياً على الرغم من دخول الإسلام في المنطقة منذ القرنين[2].

ويتناول حديثنا عن الوثنية في غينيا قبل الإسلام هذه الجوانب:

* **المعبودات الوثنية.**
* **المعتقدات الوثنية.**
* **الطقوس الوثنية.**
* **وسائل التنبؤات الوثنية.**

كان الناس في تلك الحقبة التاريخية يعبدون أصناماً وأوثاناً مختلفة. فلكل جماعات عرقية ولغوية معبودها الخاص، ولكل قبيلة صنمها المقدس وكاهنها

---

(1) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ج 5، ص 150.

(2) راجع كتاب: Soundjata ou l epopee manding: Djibril T. Niane, Présence Africaine, 1960.

المتنبّئ، ولأرباب الأسر أو العشائر أوثانهم الخاصة بهم. ولم يختلف دور الكاهن في هذه المجتمعات السودانية عن أي كاهن آخر، وذلك في إشرافه على علاقات الوساطة بين الشعب والصنم الذي يتقرب إليه بقرابينه تزلفاً إلى أرواح الأسلاف، الذين في جناب خالق الكون والبشر، يشفعون إلى ربهم لصالح أبنائهم جلباً لخيرات الدهر ودفعاً لنوائبه. لذا ظل الكاهن يتمتع بقداسة، فلا يرد له أمر ولا ينتهك أحد حدود نواهيه، ولتنبؤاته منزلة الأخبار السماوية في القداسة.

ومن هذه المعبودات الوثنية:

الأنهار كنهر زيري، في مدينة انزيركوري، الذي كانت قبيلة غيريزي تعبده. ونهر سانكراني بغينيا العليا الذي كان يُتقرَّب إلى أرواحه الجنية قبل القيام بصيد أسماكه.

ومنها الأشجار الشاهقة التي كان يعبدها بعض أفراد قبيلة كوندي بضواحي سيغيري.

ومنها الجبال التي كانت قبائل جالونكا تعتقد فيها أرواحاً مقدسة، وبخاصة هضبات جبال فوتاجلون، أو تقديس جبال «نيمبا» لدى جماعات كونو بمنطقة لولا بغينيا الغابية. وتسترضى تلك الأرواح الجبلية قبل الشروع في الأعمال ذات الأهمية، كالبذر والحصاد والاستسقاء والزواج... الخ.

وتمثل الأصنام من التماثيل أكثرية المعبودات الوثنية لدى القبائل التقليدية بغينيا. وتتميز تماثيل كل قبيلة عن الأخرى بأشكال رؤوسها التي تصور رؤوساً من الحيوانات أو الطيور حسب معتقدات الطوطم التقليدي لدى القبيلة. وقد تكون تلك الرؤوس أقنعة يلبسها عضو من الجمعية السرية التي يشرف عليها كاهن القبيلة. وأكبر صنم يحظى بقداسة المجتمع بأسره يتمثل في «صنم القبيلة» الذي يكون في معبد محظور الدخول فيه إلا

على الكاهن وأعيان القبيلة، وهذا المقرّ الرسمي للصنم يعد غالباً حاضرة مناطق القبيلة، كقرية «زوتا» مثلاً التي تعد حاضرة القرى الوثنية في جنوب الدولة، وفيها أكبر أصنام قبائل غيرزي، وكاهنهم «ديماغووا» يتمتع بأكبر سلطة دينية في مجتمع قبيلته.

ولكن اتخاذ القبيلة صنماً لأفرادها لا يمنع كل عشيرة، أو أسرة كبيرة، أو بعض أفراد المجتمع من عظمائه، أن ينفردوا باقتناء أصنام خاصة بهم، يتضرعون إليها في شؤونهم الاجتماعية، ويتقربون إليها بذبائح الديوك من حين لآخر في قضاء حوائجهم المتعلقة بالسفر، والزواج، والأمراض... الخ. ولا ينصرفون عنها إلا إذا أعياهم أمر في قضاء حاجة، ففي هذه الحالة يلجأ أحدهم إلى كاهن القبيلة الذي سيتوسط بينه وبين صنم القبيلة في قضاء حاجته.

أما المعتقدات لدى هؤلاء الوثنيين قبل الإسلام فيمكن تسجيلها في النقاط الآتية:

1 ـ الاعتقاد في إله واحد، خالق السماوات والأرض وما بينهما. ويؤيد هذا قول عالم الأجناس البشرية «إيفارليستر» في كتابه «الإنسان والله والسحر»: «إن أسلافنا البدائيين قد اعتقدوا بوجود إله واحد ثم انحطّوا بالتدريج بسبب النفوذ الشرير لسحرة القبائل وساحراتها وتحولوا إلى عباد الآلهة»[1].

2 ـ عقيدة الطوطم: هي عقيدة بدائية تتمثل في احترام بعض الكائنات من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات أو الطيور. فلكل قبيلة طوطمها الخاص فلا يأكل أفرادها هذه الكائنات ولا يسيئون إليها. وهي شائعة لدى قبائل

(1) نقلاً عن فوزي محمد حميد: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط 2، ص 133.

غينيا حتى الآن، المسلمة منها والوثنية، وإن كان بعض المسلمين لم يعودوا يبالغون في احترام طوطمهم. ومن تلك الحيوانات الطوطمية مثلاً: الأسد، وفرس النهر، والنمرة[1]، والفهد، والأفعى، والتمساح.

3 ـ الاعتقاد في البعث عندهم يتمثل في أن الأسلاف الموتى يعيشون في العالم الآخر مثل حياتهم الدنيوية بل أفضل من هذه، لذا كان الناس يتسارعون إلى توكيل الميت في جنازته بالهدايا من المال والثياب ليسلمها إلى أقاربهم ـ الذين ماتوا من سنين ـ في حياة العالم الثاني. لكنهم لم يكونوا يؤمنون بالحساب والجنة والنار.

4 ـ تأثير الموتى من الأسلاف في حياة أبنائهم الدنيوية. لذا كثيراً ما يعلن كاهن القبيلة عن سخط الأسلاف على خلفهم، لتقصيرهم في إحياء العادات والتقاليد، ومن ثم فيأمرهم بقرابين معينة لاسترضائهم، وإلا ستنزل عقوبة من الأسلاف على الشعب لغضبهم عليهم. «ومنهم من يعبد الأسلاف، وينحت السحرة لهم تماثيل على صورتهم توضع في إحدى زوايا المنزل، ويغطونه بالحصر، ويقدمون له الاحترام والقرابين، ويستخدمونه في كثير من أحوالهم العائلية ويصحبونه معهم في الأسفار، ليحميهم من الأعداء»[2].

5 ـ اعتقاد حلول الأرواح في الأشجار والجبال والأنهار. غير أنه لم نسمع عن عبادة الوثنيين في بلادنا للرياح والنار والشمس والنجوم. وهذا ما يدل على الطابع المادي والحسي للفكر الوثني لدى تلك القبائل.

---

(1) ينظر مثلاً: رواية الكاتب الغيني جيبي تيام Djibi Thiam بعنوان: أختي النمرة Ma soeur la panthère، حيث تمر الأحداث حول قرية طوطمها النمرة التي بدأت تفترش من حين لآخر بعض أفراد القرية، ويحاول البطل بامو أن يقتل النمرة، لكن الشيوخ يعارضونه في ذلك لأنها طوطم القبيلة. للمزيد راجع رسالتي الماجستير «الحياة الأدبية في غينيا» 2/ 458.

(2) فوزي محمد حميد: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص 144.

6 ـ اعتقادهم الجازم في قدرة السحرة والشعوذة والاعتماد عليها في إصابة المضرات للآخرين عند الانتقام، وبخاصة شعوذة أكلة الناس ـ إن صح التعبير ـ المنتشرة بين جميع القبائل الغينية والإفريقية.

أما الطقوس فمنها العامة والخاصة:

وأما العامة منها فمتمثلة في خروج كاهن القبيلة، يتقدم جماعة شعبية رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، إلى «الموضع المقدس» إزاء النهر المعبود، أو أمام الجبل المعبود، أو تحت شجرة القداسة، فيظل الكاهن واقفاً ساعات طويلة يناجي إلهه الوثني ويستغيث به، ذاكراً أمجاده السالفة وقدراته العجيبة ومنجزاته الغريبة. وتلك المدائح تكون منمقة في لغة بديعية مطربة، قد لا يحسنها غير الكاهن، ثم يتضرع إليه أخيراً مجدّداً إحياء علاقاته المتوارثة منذ مئات السنين التي أحياها أسلاف القبيلة، وأنه مع شعبه على آثارهم مقتدون. ثم يذبح قربانه المعتاد، قد يكون ثوراً أحمر، أو ماعزاً أسود، أو خروفاً أبيض، ومئة ديك أبيض. ومثل هذه الطقوس العامة تكون سنوية لدى جميع القبائل، في مناسبات البذر والحصاد والاستسقاء وموت الكاهن أو رئيس القبيلة، أو في دفع مرض عضال عمّ البلاد، وقبل الحروب أو في تولية الملك الجديد.

أما الطقوس الخاصة فتنظمها طوائف تقليدية معينة أو جمعيات سرية.

من تلك الطوائف القبلية: فئة الصيادين (براً أم بحراً)، وفئة الحدادين، وفئة النساجين، وفئة الخزّافين. فتجد للصيادين في محافظة مدينة سيغيري طقس سنوي، يقام في يوم الأربعاء الأخير من شهر رجب، لا يشاركهم فيه سواهم، وغايتهم فيه إحياء ذكرى جمعيتهم التي تشبه جمعية سرية، لاعتمادهم على السحر والشعوذة الجنية. وفي هذا الطقس الذي يدعى «كونسي» و«لولو» يحتفل بهما في الليل، بحيث يسهرون في الرقص يغني لهم شاعرهم، الصياد ـ مثلهم ـ بنقر قيثارته التقليدية، مدائح الرجال البواسل من الصيادين، الذين يحفظون القرى

من أضرار السباع والجان الأشرار. وفي غرة الفجر يتوجهون نحو وثنهم ـ خارج القرية ـ لتقديم القرابين التي تكون من بيض الديوك غالباً. ولا يشارك في حفلة «لولو» إلا من سبق أن تقرّب بقربان إلى صنم «لولو».

وأما الجمعيات السرية فهي تتألف عادة من السحرة أو الساحرات من أفراد المجتمع، ولا علاقة لهم بكاهن القبيلة، وإن كان هذا الأخير لا يخفى عليه شيء من أمورهم. ولكل جمعية طقس وثني تنظمه في «غابة مقدسة» لا يعرفها سوى أعضائها، ولا يكون إلا في دياجير الليل، ويزعمون أنهم ينسلخون من أشكالهم الإنسانية إلى أشكال حيوانات كالقطط، أو طيور كالبوم، كل ساحر حسب ميوله وقوة شعوذته. ومثل هذه الجمعيات هي التي تتقرب إلى أوثانها بدماء بني البشر، كجماعة الكاهن «ديماغووا» في المنطقة الجنوبية بغينيا، التي كانت تختطف غريباً عند قرب موسم طقسها السنوي.

وقد يقضي بعض تلك الجماعات الوثنية أياماً بل أسابيع في «الغابة المقدسة»، وعند خروجهم منها يلبسون ثياباً متميزة ومتماثلة، يتبعون صاحب «قناعهم الوثني المقدس» الذي تسميه جماعات ماندي بـ «كوما» أو «دو». وقد تظهر هذه الأقنعة إلى المجتمع من غير طقس، وذلك للقبض على مجرم أو سارق أو ساحر من أكلة الناس.

والجدير بالذكر، أن لبعض تلك الجمعيات غاية نبيلة، على الرغم من وثنيتها، كجمعية الساحرات الخيرية المسماة بـ «غبو Gboo» من قبيلة كيسي في مقاطعة فانغامادو بمحافظة غيكيدو، وهي جمعية اللاتي يسعين إلى دفع أشرار السحرة وقمع تأثير تفشّي شعوذة أكلة الأولاد في المجتمع، لذا ينشدن هذه الأغنية في طقوسهن:

كوجين كوجين دوتيينا،

نحن ندافع عن حقوق الضعفاء،

الذين لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم ضدّ

الأرواح الشريرة،
الجنة المؤذية،
السحرة أكلة الأولاد[1].

ومن المعروف قديماً أن مناسبة الختان في إفريقيا كانت تمر في عادات تقليدية، تتخلّلها بعض الممارسات الوثنية، وخاصة عندما يختن الأولاد، الذين تتراوح أعمارهم من عشر إلى خمس وعشرين سنة في «الغابة المقدسة». حيث يرسلون ويحتفظ بهم فيها قرابة ثلاثة أشهر، ويتلقون دروساً وأسراراً من المعتقدات الوثنية، يحظر إفشاؤها على كل حاضر. وقد يتّهم ـ غالباً ـ أحدهم بإفشاء السر فيعاقب بتقديمه قرباناً لوثنهم عبرة لزملائه.

أما وسائل التنبؤات الوثنية فتتمثل في الأمور التالية:

1 ـ **الودع**: هي تمثل لدى الوثنيين رمزاً مقدساً. تراها على أصنامهم، ولباسهم، وعلى الأدوات التي تستخدم في الأمور الوثنية. ولكن السحرة والكهنة لا يتخذونها وسيلة للتنبؤات، بل هي لدى العجائز والشيوخ من العرافين الذين ينثرونها على الأرض ويتأملون فيها ليفسروا هيئات وقوعها وفق توقعات مستقبلية في حياة الناس.

2 ـ **الرمل**: إن السحرة الذين يقعدون في عقر بيوتهم لقضاء حوائج الناس، في جلب المسرات ودفع المضرات، يستعملون الرمل ليقرؤوا في مستقبل زبائنهم. وأحياناً يدّعون معرفة آجال الناس، فيأمرونهم بالصدقات لتمديد أجلهم، حسب زعمهم.

3 ـ **الأحصية**: إن بعض السحرة والعرافين يضربون في حاضر البشر، بنثر الأحصية بعد أن يتمتم عليها الغرض أو النية، ثم يتأمل في هيئات وقوعها وترجمة ذلك حسب مشارب الناس في حاجياتهم اليومية.

---

(1) Condé, Mohamed: La chansn et la fable dans la tradition orale. Revue Notre Librairie Littérature Guinéenne - p 54.

4 ـ **الصنم**: في الغالب ترى الكاهن يخاطب صنمه، ويتقرب إليه بالذبائح، كأنه إله عاقل وقادر، لذا لا يتردد في أن يطلب منه أحياناً أن يكشف له القناع عن أمر من أمور الغيب، فيسمع منه صوتاً ـ قد يكون صوت جني حل في الصنم ـ يجيب له في مطلبه، ويوجهه إلى الصدقات اللازمة التي ينبغي أن يتصدق بها صاحب الحاجة كي تقضي له حاجته. ومما يذهل العوام أنه يسمي لصاحب الحاجة أسماء والديه وذويه من غير سابق علم من الكاهن، فلا يجد مثل هذا الإنسان بدّاً من الاعتقاد الجازم في كل ما يروي له الكاهن عن الصنم.

ثالثاً ـ الوثنية في غينيا بعد وصول الدعوة الإسلامية:

وصلت الدعوة الإسلامية إلى أراضي غينيا خلال القرن الحادي عشر الميلادي، من جهتها الشرقية، إذ اعتنق برمندانا ـ ملك مملكة مالي آنذاك ـ الإسلام سنة 1050م الموافق 443هـ. وكان لهذا الحدث دور كبير في انتشار الإسلام بين أوساط الوثنيين من رعاياه[1].

«ولم ينته القرن الثاني عشر الميلادي إلا وأصبحت جل قبائل ماندي من أكثر شعوب غرب إفريقيا تمسكاً بالإسلام وتحمساً له. وفي القرن السادس عشر الميلادي أتت من ماسينا جماعات قوية من الفولانيين فنشروا الإسلام بين القبائل القاطنة في مناطق فوتاجالون حينذاك[2]، وأسسوا دولة إسلامية. فكان اعتناق الشعوب للإسلام لديهم على نطاق كبير.

(1) ينظر إلى: طرخان، إبراهيم: إمبراطورية مالي. المكتبة العربية، لا. ط، مصر، ص 50.

والقلقشندي، أبو العباس أحمد علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا. دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 5/ 293.

(2) كانت تلك القبائل من جالونكا، وصوصو، وباغا التي اضطرت إلى أن تنزح نحو المحيط الأطلسي في غينيا الساحلية. ينظر كتاب الكنز الأوفر: للحاج عمر السالمي، لا. ط، لا. ت، دار البستان، باريس فرنسا، ص 25.

فمنذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، هدأت حملات الجهاد المقدس إلى أن ظهر الحاج عمر تال الفوتي عام 1849م بإمبراطوريته الإسلامية على أنقاض مملكة «بيمبا ساكو» أحد كبار الوثنيين في جالونكادو»[1].

وقبل الحاج عمر الفوتي، يمكن أن يعد سونجاتا ذلك البطل الذي استأصل الوثنية في غينيا بقضائه على الملك الساحر سوماغورو كانتي (إمبراطور صوصو) في معركة كرينا الشهيرة، على الرغم من أن بعض أعمال سونجاتا نفسه لم تسلم من بعض الممارسات الوثنية.

ومنذ دخول الإسلام في هذه البلاد كانت العلاقة بين المسلمين والوثنيين علاقات متبادلة في حدود المصالح الاجتماعية، إذ كان الملوك الوثنيون يتخذون من المتعلمين المسلمين كتبة لتسجيل أسرارهم وتوثيق معاهداتهم. وكانوا يلجؤون إلى أئمة المسلمين وعلمائهم لطلب الشفاء من مرض أو دفع مصيبة أو جلب خيرات الزرع... الخ.

وحري بنا أن نشير إلى ثقة الوثنيين بالمسلمين الأوائل، الذين ما كانوا ليخونوهم في أدنى معاملة تجارية، وبخاصة إذا ما حلف بإله فإن الوثني كان يستسلم له ويرضى بأحقية المسلم في تلك القضية. ومن جهة أخرى، كان الوثنيون معجبين بنظافة المسلمين وجلابيبهم الفضفاضة التي تضفي على علمائهم هيبة تستميل قلوب الناس.

ومن نوافذ هذه العلاقات الودية الإنسانية تغلغل الدعاة المسلمون من الوعاظ والمعلمين والتجار إلى مناطق القبائل الوثنية، فأضحت مدنهم عامرة بالمسلمين، وقراهم مكتظة بالأيادي العاملة المسلمة، وبخاصة أمثال غيكيدو وماسنتا وانزيريكوري بجنوب الدولة. ومن ثم انقمشت الوثنية في القرى

(1) كبا، عمران: الحياة الأدبية في غينيا. رسالة الماجستير، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1/ 39.

القاصية عن المدن، ولم تعد الأنهار المقدسة في المدن تعبد كنهر «غيرزي» والغابة المقدسة في وسط انزيريكوري.

وبعد دور الدعاة جاء المعلمون الذين أسّسوا مجالسهم التعليمية على الطراز التقليدي، والتي تحولت في بعض المدن إلى مدارس نظامية حديثة. ومن كبار هؤلاء الذين كان لدورهم دويّ بعيد في المجتمعات الجنوبية: الحاج مافي كابا في سينكو، والشيخ موري جوكوري في انزيريكوري، ومامادو جوباتي في ماسنتا، والحاج عمر كمارا في ماسنتا أيضاً.

وأكثر تلك القبائل الجنوبية إسلاماً هي قبيلة غيرزي، التي ينتمي إليها إمام الجامع العتيق الحاج محمد سيسي.

وتأتي أول حكومة وطنية، إثر استقلال الدولة سنة 1958، تحت رئاسة المرحوم أحمد سيكو توري، الذي كان معروفاً على المسرح العالمي باعتزازه بدينه وجنسه، لتتوج أعمال العلماء والدعاة بفرض قرار صارم ضدّ الوثنيين والسحرة، فقضى على القرابين البشرية في الجنوب، وأظهر استعداده لإبادة قرية وثنية برمتها إذا ما اتّهمت بقربان بشري، لذا أعدم في إحدى السنوات تسعة عشر شخصاً في جرم اختطاف رجل. وبخاصة جماعة دياغووا، من قبيلة غيرزي، التي لم يعد لها ذكر في المجتمع.

وكانت المحكمة في ظل هذه الحكومة تحكم بعشر سنوات من السجن على كل من علق تميمة. لذا أصبحت التمائم تزري بالمسلم في المجتمع الغيني.

وكانت نهاية هذه الحكومة ختام مسك للدعوة الإسلامية، أن شهدت الدولة اعتناق أغلبية ساحقة الدين الحنيف من أفراد تلك القبائل الجنوبية، فكثرت المساجد في قرى الإقليمين الجنوبي والساحلي، اللذين كانا قبل منتصف القرن العشرين الميلادي مناطق وثنية. أما اليوم فتعد مدينة انزيريكوري ـ معقل الوثنيين قديماً ـ عاصمة الدراسة الإسلامية في غينيا بلا منازع، إذ فيها أكبر مدارس البلاد التي تخرج سنوياً مئات من حاملي الشهادات الثانوية، وهي

المدينة التي حظيت بتجمع أكثر خريجي الجامعات العربية الإسلامية، وهذه المميزات التي لم تجتمع لسائر المدن التي تمتعت بالثقافة الإسلامية في القرن التاسع عشر الميلادي مثلاً كمدن كنكان، وديغراي، وتمبو مدينة، وطوبى، ولابي... الخ.

ولأسلمة حكومة الرئيس أحمد سيكو توري أنشئت وزارة الشؤون الإسلامية، التي تحولت إلى «الرابطة الوطنية الإسلامية»، والتي تشرف على حركة الدعوة وتنظيم المساجد وتعيين الأئمة.

وبهذا الإشراف الدعوي الشامل تقلصت الوثنية، فاقشعّرت نشاطاتها في عقر القرى القاصية، وطاردتها الدعوة الإسلامية حتى شيّدت المساجد في تلك الديار التي بها أقلية مسلمة. الأمر الذي جعل المسلمين من أصل تلك القبائل الوثنية يفكرون في أن يرفعوا إلى ذويهم بأيديهم لواء الدين الحنيف، لذا تأسست «جمعية مسلمي غينيا الغابية» في أوائل التسعينات من القرن الماضي.

والأمانة تقتضي أن نسجل دور حركة الإرساليات التبشيرية في طمس الوثنية في قلوب بعض أفراد تلك القبائل الوثنية فيعتنقون المسيحية. وأحياناً قد تنجح في حركتها إلى تحويل قرية وثنية بأسرها إلى قرية مسيحية، كقرية سموي ـ بمحافظة ماسنتا ـ التي تعد مركزاً تبشيرياً، لا في الجنوب فحسب بل في الدولة.

رابعاً ـ الوثنية والإسلام في الوقت الراهن

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو «هل ما زالت الوثنية حية في قلوب بعض أفراد الشعب؟ وهل هي موجودة في المجتمعات الريفية التقليدية حتى الآن؟»

فلنعلم أولاً أن نسبة المسلمين في غينيا تقدر بـ 95٪، ونسبة المسيحيين بـ 2٪، ولم يبق للوثنية إلا نسبة ضئيلة لا تتعدى 1٪، ولا ننسى أن لغير المتدينين

ـ لا أقول الملحدين ـ نسبة أخرى، وهذا لا ينفي أن بعض المعتقدات والأعمال الوثنية ما زالت حية في حياة بعض أفراد الشعب الغيني، وحتى المسلمين منهم.

أما تقدير نسب المسلمين حسب الأقاليم فيمكن أن تعد نسبة المسلمين في غينيا العليا (بلاد ماندي) وغينيا الوسطى (بلاد الفولانيين) بـ 100٪. وأما الإقليم الساحلي والجنوبي فلا يمكن لهما أن يحظيا بالنسبة عينها، وذلك لوجود غالبية المسيحيين الغينيين من سكانهما، ولأن الكهنة الوثنيين ما زالوا على آثار آبائهم الأولين عمياناً، وبخاصة قرية لوبو ـ بضواحي مدينة ماسنتا ـ التي تعد من القرى الشاذة التي تخلو من المساجد حتى الآن، بحيث تحيي الوثنية بطقوسها ومعتقداتها بين الناس كأنهم في عصر متوغل في التاريخ قبل الإسلام.

وللموضوعية، قد يطرح سؤال آخر كهذا: هل تخلص المسلمون من جميع المظاهر والمعتقدات الوثنية؟

لا يمكن أن يكون الجواب إيجاباً لمن يعرف إفريقيا، لأن الجهل فاش بين سواد المسلمين قاطبة، وقد زاد التغريب والسعي وراء المادة الطين بلة... لذا ما زالت بعض المعتقدات الوثنية منتشرة بين عوام الشعب، كتمسك جماعات بسانو فولا المسلمة بصنم «فولاماساجا»، إذ يحلفون به، وينذرون له في قضاء حوائجهم في التجارة والزواج والسفر والزراعة والوظيفة، وهو صنم ـ بوسطه ذهب ـ يحظى بتقديس هؤلاء الناس على الرغم من صلاتهم وصيامهم وحجهم... الخ.

أضف إلى ذلك تقديس أرواح الأولياء، والقسم بأسمائهم من دون الله، والإنذار لها والتضرع إليها كأن لها يد قدرة في تغيير حياة الناس، ويمكن أن تظل هذه المعتقدات في مناطق فوتاجالون، مرقد أولياء صالحين كتيرنو محمد صمب موبيا (1755 ـ 1850م) صاحب «معدن السعادة»، والحاج سالم كراموخوبا (1722 ـ 1837م) مؤسس مدينة طوبى العريقة وجيرنو سعد دالين، والشيخ

فانتا مـادي شريـف بكنكـان في غينيـا العليـا (ت 1955م). لأن العلـماء كـانوا يشجعون زيارة القبور دون الحرص الشديد على مراقبة العوام الذين لا يميّـزون بين ما يجوز في أساليب التوسلات وما لا يجوز، يقول جيرنو سعد وهو يحثّ على زيارة ضريح الحاج سالم للتبرّك:

فـــزوروا قـــبره فيهـــا ورومـــوا بـــما شـــئتم تنـــالوا لـــيس سرّاً[1]

أما نشاطات العرافين بالودع، والرمل، فـما زالـت ظـاهرة اجتماعيـة بـين سواد المسلمين، والغريب في أمر بعض هؤلاء الجهلة أنهم يرتادون ديار الأصنام ليتقلدوا في المناصب الحكومية وللقضاء عـلى منافـسيهم فيهـا. ولـذا مـا زالـت الدعوة الإسلامية بحاجة إلى رجـال متحمّـسين لبـثّ الـوعي الـديني والـوازع الإيماني في قلوب هؤلاء العوام.

خامساً ـ الخاتمة

وفي ختام هذا الموضوع، نعلم أن الدعوة الإسلامية مـا زالـت بحاجـة إلى مزيد من بذل الجهد الجهيد، والنفس العزيزة، والمال النفيس لكي يعم هذا الدين جميع الذين ما زالوا في غي من الضلالة العمياء.

وإذا كانت حال الوثنية في غينيا قد تقلصت نـشاطاتها إلا أن أفكارهـا مـا زالت حية في قلوب بعض الناس، وربما استبدلوا بهـا وثنيـة ماديـة عـصرية ـ إن صح التعبير ـ، وهذا النموذج الغيني يعكـس مـا للوثنيـة مـن صـور في الـدول المجاورة، بل إن الوثنية في بعضها تحيى حياتها القديمة وطقوسها التقليديـة مـن غير تضايق.

وأقدم هذه المقترحات للقضاء على الوثنية، لا في غينيـا فحـسب لكـن في المنطقة بأسرها:

---

(1) السالمي، الحاج عمر: الكنز الأوفـر في سـيرة الحـاج سـالم الأكـبر، لا. ط، لا. ت، دار البـستان، باريس، ص 186.

* أن ينظم إرسال قوافل الدعوة شهرياً إلى تلك المناطق الوثنية، مع تشويق الناس إلى الدين الحنيف بالمساعدات المادية والطبية.
* أن يهتم الدعاة بالبحث الميداني المتخصص عن ظروف تلك المناطق، للوقوف على الأسباب الرئيسة التي تجعل الوثنيين متشبثين بهذه الطقوس.
* أن تهتم الهيئات الإسلامية ببناء المدارس أكثر من اهتمامها ببناء المساجد في المناطق الوثنية للأقلية المسلمة فيها، والتي تكون مؤلفة من الغرباء عن المنطقة غالباً، لأنها ستخرج بعض الأولاد من أصل المنطقة الذين يقومون بعبء التوعية في لغات تلك القبائل الوثنية.
* إن للقبائل الوثنية لغتها المتميزة عن لغة غالبية المسلمين، لأن لغات طوما وغيرزي ومانو في غينيا تباين لغات الفولانيين والماندي وصوصو، لذا ينبغي أن تستغل وسائل الإعلام للتبليغ عن الإسلام بلغات تلك القبائل، ومن هنا فإن المسلمين في غينيا بحاجة إلى إذاعة إسلامية مسموعة ومرئية.